الـــــدروز

نشأة وعقيــــــــدة

* * *

الـــدروز

يعد الدروز فرعا من فروع فرقة الاسماعيلية الباطنيــة وهم من بين المذاهب المعاصرة التى تنضوى تحت راية الإسلام .

وقبل التعريف بهم، يحسن أن نقدم عجالة عن الباطنية حتى يتيسر على الفرع من خلال الأصل . فمن هم الباطنية ؟

١ ـ الباطنية أو الاسماعيلية ، هم المنسوبون إلى اسماعيل بن جعفر الصادق . وقد كان من أولاد جعفر الصادق ولدان موسى الكاظم ، وإسماعيل .

فأما موسى ، فقد التف حوله قوم مكونين فرقة الأثنى عشرية .

وأما اسماعيل ، فقد رويت فى شأنه روايات غريبة ، خلاصتها أنه حين مات ، أحضر أبوه جعفر بعض الوجهاء ، وأشهدهم على محضر سجل فيه وفاته ، ورفعه إلى الخليفة أبى جعفر المنصور . وقد اختلفوا فى موت اسماعيل ، وفى الدوافع التى أملت عن أبيه كتابة محضر على وفاته .

ويقال أن سبب ذلك يرجع إلى اتصال إسماعيل قبل وفاته بالغلاة من الشيعة. وقد أرسل المحيطون باسماعيل، الإمامة فى إبنه محمد بعد وفاة جده جعفر الصادق ، وقد كان فى السادسة عشرة من عمره ، إعمــالا منهم لمبدأ عــدم رجوع الإمامة القهقرى فإنها تنتقل فى الأعقاب .

وبهذا نشأت طائفة الاسماعيلية على يد أولئك الذين كانوا أصدقاء لاسماعيل والذين التفوا حول إبنه متخذين منه إماماً لهم ، وهم : المبارك مولى اسماعيل بن جعفر الصادق ، وأبو الخطاب الأسدى ، وميمون القداح ، وكل منهم محوط بقدر كبير من الغموض .

مبـادىء الباطنية :

أحاط الغموض بالاسماعيلية ، فوقعوا بين البراءة والاتهام ، واختلفت حولهم الأقاويل . فعلى حين يضمهم البعض بين أشـد الناس إلحادا ، فإن البعض الآخر بين المؤمنين المؤدين للفرائض . ويمثل النوبختى الفريق الأول . أماالفريق الثانى فيمثله الملطى السنى .

ولعل هذا الغموض يرجع إلى مبدأ التقية ، كما يرجع إلى اختلاف مراحل الدعوة حيث كانت فى مراحلهـا الأولى بعيدة عن التفرع والخلاف ، كما أنهـا كانت شديدة الاستتار ، ممـا جعل كتابها يلجأون فى حديثهم وكتبهم إلى الرمز والإشارة .

ومبدأ التقيـة يعنى المدارة والكتمان والتظاهر بغير الحقيقة ، عند مخـافة وقوع المكروه ، وأو تسلط ذى سلطان ، وذلك الكتمان ، وتلك المـدارة ، يكونان لحفظ نفس أو عرض أو مال . وهذا المبدأ ، مأخوذ من قوله تعالى « لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شىء إلا أن تتقوا منهم تقاة » .

ومبدأ التقية فى عمومه ، لا يمنع منه الاسلام ، حيث يقول تعالى : « من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان » . وقد نزلت فى عمار بن ياسر أظهر أمام الكفار مايرضيهم ثم استنكر ذلك من نفسه .

وقد أخذ الباطنية بمبـدأ التقية ، وبنوا عليـه مذهبهم ، فهو جزء رئيسى فى تعاليمهم وإليه يرجع تذرعهم بكتمان عقائدهم وإخفاء حقيقة أمرهم. وقد روى عن الكلينى ــ أحد شيوخ الشيعة ، أخبار كثيرة عن التقية ، إذ يروى عن البعض قوله « تسعة أعشار الدين فى التقية ، ولا دين لمن لاتقية له » .

وسنرى عند دراستنا للدروز بالتفصيل مدى أخذهم بالتقية واعتبارها مبدأ رئيسيا فى مذهبهم .

ومن تعاليم الباطنية أيضا قولهم : إن للقرآن ظاهرا وباطنا ، ومن حقيقة الإيمان عندهم الأخذ بالظاهر والباطن معاً . ولذلك نراهم يسرفون فى الأخذ بالتأويل . ومنها القول بالإمام المعصوم ، وأنه مصدر العلم عندهم . وقد سميت الباطنية بالتعليمية . وقد أدى قولهم بهذا المبدأ إلى إغلاق باب الاجتهاد وإهدار قيمة العقل إلى حد كبير . ومن مبادئهم أيضا ، الشمول فى العقيدة ، ويعنون بذلك احتواء عقيدتهم لكل الأديان والعقائد والمذاهب المختلفة .

من هم الدروز :

اختلف المؤرخون حول هوية الدروز . ويرجع هذا الاختلاف إلى الرغبة فى احتواء المذهب ، أو إلى الجهل بحقيقة الدروز ، نتيجة للتكتم الشديد الذى يحيط به الدروز أنفسهم .

وسنعرض الآراء محاولين الوصول إلى أرجحها .

١ ــ فأما الذين رغبوا فى احتواء المذهب ، فهم المستعمرون الذين دأبوا على احتواء كل تيار يطفو ساحة الفكر الإسلامى واستخدامه لتحقيق مصالحهم السياسية ومآربهم الاستعمارية وهم فى سبيل ذلك زعموا أن الدروز ينحدرون من أصل غربى: فالفرنسيون من المؤرخين فى القرن السابع عشر الميلادى، إذاعوا خرافة ، زعموا فيها أن الدروز هم سلالة الجنود الفرنسيون الصليبيين الذين كانوا تحت قيادة الكونت دى دروكس الذى أسكنهم جبال لبنان بعد سقوط

عكا . فكلمة الدروز عندهم هى تحريف (دى دروكس) . وامتد بهم الخيال إلى أن يزعموا أن الأمير فخر الدين بن معن ، حفيد القائد الصليبى جودفرى . ولقد كان الدافع وراء هذه المزاعم ، رغبة الفرنسيين فى التودد إلى الدروز ، الذين اشتهروا بشدتهم فى الحرب وشجاعتهم . ويدحض هذا الزعم ؛ الدروز الذين كانوا يسكنون هذه المنطقة من لبنان وحوران ووادى التيم قبل أن تبدأ الحروب الصليبية بأكثر من ثلاثة قرون وربما يعين على تفسير ما ذهب إليه المؤرخون الفرنسيون أن عددا كبيرا من جنودهم كانوا أسرى عند الدروز ، الذين اتخذوهم عبيدا لهم ؛ كما اتخذوا نساءهم إماء وسبايا .

ولم يقتصر الأمر على الفرنسيين ؛ فى محاولة هذا الاحتواء ؛ بل وإن الإنجليز أذاعوا فى القرن الثامن عشر ؛ أن الدروز من أصل انجليزى ، فهم سلالة الجنود الانجليز الذين صاحبوا الملك « ريتشارد قلب الأسد » ؛ وغيره من ملوكهم الذين شاركوا فى الحروب الصليبية .

ولا يتسع الباحث إلا أن يسخر من هذه الروايات التى تفتقد السند العلمى الذى ترتكز عليه .

على أن من بين هؤلاء المؤرخين الغربيين من توخوا الصواب ، وإن لم تتم لهم الإحاطة ، ومن بينهم « سلفستر دى ساسى » فى كتابه « عقيدة الدروز » ، و « فولناى » الفرنسيان ؛ والمحقق الألمانى « مولر » فى كتابه « الإسلام » . ومنهم من ذهب إلى حد التدليل على بطلان الزعم بأن الدروز ينحدرون من أصل فرنسى ، مثل فولناى العالم الفرنسى الذى عاش أربع سنوات فى مصر وسوريا يدرس أحوال شعوبها ؛ فى الربع الأخير من القرن الثامن عشر » فقد ذكر أنه لم يجد أثر للغة الفرنسية فى كلام الدروز .

ب ـ وأما الذين أرخوا لهذا المذهب ، وهم على جهل به ؛ فإنما أتى بهم إلى هذا الجهل تستر الدروز وكتمانهم لعقائدهم ؛ وعدم السماح لأحد بالاطلاع على مذهبهم . وقد كان معتمد هؤلاء المؤرخين ؛ على ما يقع لهم من بعض الكلمات الأجنبية ؛ فيما قد يتاح لهم من كتب الدروز . فاذا وجد أحدهم كلمة فارسية فى كتبهم المقدسة ، فعنده أنهم من الفرس ، وإذا وجد كلمة من أصل آرامى ، فهم إذن من الأراميين .

والحقيقة أن المؤرخ المنصف لاينبغى أن يصل إلى تأصيل طائفة من الطوائف إلا إذا أتيح له من الوثائق التاريخية الصحيحة ، ما يستطيع معه الفصل فى مثل هذه المسائل الدقيقة ؛ إذ أن اختلاط الشعوب وامتزاجها على طول الزمن يبعد الإنسان عن نسبة الأصلى قليلا أو كثيرا بمقدار اتصال أسرته بغيرها .

لكن بعض الأسرات تحافظ على نسبها وتثبته جيلا بعد جيل ؛ فيصبح سجل النسب وثيقة تاريخية تعرف منها أصل هذه الأسرة ؛ كما هو الحال مع مع آل أرسلان أو آل معن ؛ أو آل شهاب أو السادة الأشراف ، تلك الأسر التى يتكون منها الدروز . ولا يعنى ذلك ، أن كل المؤرخين الذين عرضوا للدروز قد وقعوا فى الخلط ، فإن مؤرخين شهيرين مثل ابن خلدون فى كتابه « العبر » ، والمقريزى فى كتابه « الخطط » قد عمدا إلى نقد المشنعين على الدروز ، من المؤرخين السابقين عليهما .

وإذا استقصينا أصل الدروز عن طريق المؤرخين المتخصصين ، فلن نجد أوثق مما أجمع هؤلاء المؤرخون على اختلاف مذاهبهم وأجناسهم على أن الدروز ـ أول ما ظهرت عقيدتهم فى بلاد الشام سنة ٤٠٨ هـ ـ كانوا يعيشون فى منطقة وادى التيم .

وقد سمى هذا الوادى بذلك الإسم . نسبة إلى قبائل تيم الله بن ثعلبة اليمنية الأصل ، الذين سكنوا الفرات منذ الجاهلية ، وكان منهم ملوك المناذرة فى الحيرة . واستقرت بعض بطون هذه القبائل فى منطقة حلب . وقد كان لهم فى عهد الفتوحات الإسلامية ، سجل حافل فى فتح الشام ومصر ، ونزلوا فى محافظة البحيرة ، وحاربوا إلى جانب معاوية بن أبى سفيان فى موقعة صفين ، وصاروا سادة المناطق التى حلوا بها ، وشاركوا الأمويين فى مجاهدة الروم .

ثم إنهم انضموا لدعوة العباسيين حين قامت دولتهم ، ونزحت بعض بطونهم إلى لبنان – إستجابة لدعوة أبو جعفر المنصور – لحماية السواحل من بغتات الروم ، ولتأمين طرق لمواصلات ، فانتشرت جموعهم فى جبال لبنان ، وتكاثر عددهم ، وساروا قوة لها شأنها ، واشتدت شوكة قبائلهم فى كل تلك المناطق .

وقد استمرت قبائل الدروز العربية تمارس بطولاتها على مدار التاريخ : فقد شاركوا إخوانهم المسلمين فى الحروب الصليبية قبل حكم صلاح الدين الأيوبى وفى أثنائه ، وجاهدوا التتار مع الجيوش المصرية فى موقعة عين جالوت الخالدة .

وغنى عن البيان أن تاريخ الدروز فى العصر الحديث ، يوضح دورهم المجيد فى مناصرة حركات التحرير العربى ، ومجاهدة المستعمرين العثمانيين والأوربيين ، مما يدل على صفاء عنصرهم ، وسلامة عروبتهم .

ويسكن الدروز فى وقتنا الحالى ، بعض مناطق جبال لبنان مثل الشوف والمتن

ويكثرون فى سوريا ، فى جبل حوران ، المعروف بجبل العرب ، كما نجدهم في بعض أقاليم فلسطين مثل صفد وعكا وجبل الكرمل وطبرية .

وإذا كان الدروز ينتمون إلى قبائل لخم وتنوخ اليمنية، فإن بعض المؤرخين يميلون إلى القول بأنهم من عرب سوريا والعراق ، وجدوا فيهما منذ فجر التاريخ ، ولبثوا ثمة ، مع من اندمج فيهم وانضم إليهم من عرب اليمن والحجاز الذين قدموا إلى هذه البلاد واستوطنوها ، فامتزجت دماؤهم قبل النصرانية والإسلام ، وقبل بعث موسى وعيسى ومحمد ، الذين اعتنقوا دياناتهم على التعاقب .

وأيا ما كان الأمر ، فإن المؤرخ الدرزى ، لا يهدف من وراء هذا القول ؛ إلا إلى إثبات أن طائفة الدروز متماسكة منذ القدم ، وأنهم أهل كتاب . منذ إنضوائهم تحت نور الديات السماوية ، واحدة بعد الأخرى .

صلة الدروز بالفاطميين :

وترجع صلة الدروز بالفاطميين إلى بدء قيام الدولة الفاطمية فى المشرق ، عندما وجه المعز لدين الله ـ أول خلفاء الفاطميين فى مصر ـ قائده جعفر بن فلاح عام ٣٥٨ هـ ، بكتاب إلى الأمير سيف الدولة المنذر بن النعمان ابن عامر ، أمير بيروت ، يدعوه إلى بيعة المعز ، فاستجاب له ؛ بعد أن استشار عشيرته ، وبعد إجماعهم على مصانعة الفاطميين حتى يروا منهم ما يكون . ومنذ ذلك الوقت ، دخل الدروز فى الدعوة الفاطمية ، وقويت الأواصر فيما بينهم .

ولقد إنتشرت الدعوة الفاطمية فى جميع بلاد الشام . بفضل الدعاية المنظمة التى كانت سمة لمذهبهم ، وكانت قبائل تنوخ فى بلاد المعرة ، وفى وادى التيم ،

وجبال لبنان ، أسرع أهالى الشام قبولا لتلك قبولا لتلك الدعوة . وكانت تلك القبائل ، هى النواة التى تشكل منها الدروز مذهبا وعقيدة .

أصـل التسمية :

لقد تسمى الدروز بأسماء كثيرة ، فى ظل الإسلام : ففى عهد الرسول ﷺ كانوا يعرفون باسم الأنصار والمؤمنين ، ثم عرفوا على التعاقب بالشيعة العلوية ، ثم شيعة آل محمد ، ثم شيعة جعفرية ثم اسماعيلية .

وبعد ظهور دعوتهم ، فإن أشهر أسمائهم الموحدون ـ وإذ يرون أنفسهم أهل أهل توحيد للخالق ـ ، وبنو معروف، ثم الدورز ، وهو إسم يستنكرون نسبته، ولا يحبون أن يلقبهم أحد به .

وقد اختلف المؤرخون فى أصل التسمية بالدروز . فالبعض يردها إلى محمد بن اسماعيل الدروزى (بفتح الدال والراء) وهو أحد الداعين إلى تأليه الحكم بأمر الله الفاطمى ، وقد دعا إلى مذهبه هذا فى وادى التيم موطن الدروز الأول، وكان ذا ميول يهودية مجوسية ، ويقال ، إن الدروز قتلوه ، وهو المعروف باسم نشتكين الدرزى .

والبعض يرجع باللفظ إلى شخص آخر اسمه الأمير أنوجور أبو منصور أنوشتكين الدرزى (بضم الدال وسكون الراء) ، وهو أحد قواد الحاكم بأمر الله.

ويقال إن طائفة الدروز تنتسب إلى هـذا الأخير ، دون الأول ، فلا يزال الدروز يلعنون نوشتكين ، ويجلون أنوشتكين ، حتى اليوم

وعلى أية حال ، فالدروز فرقة اسماعيلية باطنية ، وهم يعتبرون أنفسهم الآن ،

ولألف سنة مضت ، فى دور الستر (١) ، فلا يكشفون عن أمر عقائدهم وأئمتهم ما يلقى بعض الضوء على مذهبهم .

وقد دفع هذا الأمر الكثير من المزيفين - والمستعمرون بينهم - إلى إختراع بعض الرسائل بين الحين والحين ، ونسبتها إلى الدروز ، حتى يتصدع الصف الإسلامى ، ويبدو الدروز مارقين ضالين ، وبذلك يبتعد عن الصف مجموعة من خيرة رجال المسلمين وشجعانهم .

التكوين الاجتماعى لطائفة الدروز :

تعد طائفة الدروز مجتمعا متميزا له مجموعة من الخصائص يتسم بها ؛ ذلك أن هذا المجتمع يعتمد السرية مبدأ يؤسس عليه حياته بجميع نواحيها . لذلك لا نكاد نجد من يستطيع أن يصدر قولاً فصلا فى الدروز . بل إن كل الدراسات التى كتبت عنهم تعتمد على الحدس والتخمين ، وعلى ما قد يتسرب من أفكار وآراء عن طريق أبناء هذه الطائفة .

ولا يعنى ذلك الجهل التام بأمور الدروز . فهناك قلة من الدراسات ، قد حاولت إستقصاء الحقيقة عن طريق مخالطة أبناء هذه الطائفة أو الإطلاع على ما صدر عنهم من كتابات وما عرف من كتبهم (المقدسة) التى يصعب الوصول إليها ، إذ إن الدروز يحتفظون بهذه الكتب على صورة مخطوطات فى أماكن سرية أمينة .

ومع هذا الغموض الذى يكتنف الدروز ، فإن هناك مجموعة من الحقائق يكاد

(١) مصطلح اسماعيلى يقصد به نشر الدعوة فى تستر وكتمان أو استتار الإمام وخفاؤه .

يتفق عليها معظم الباحثين . ومن بين هذه الحقائق : ـ

ا ـ أن طائفة الدروز تنتمي إلى الإسلام وتعيش تحت رايته ، وإن إنفردوا بتأويلات لبعض الفروع ، خاصة بهم .

ب ـ أن الدروز ينتمون للحاكم بأمر الله الفاطمى الذى ظهرت دعوتهم فى عهـده .

حـ ـ أن هـذه الطائفة من الجماعات السرية التى لا تطلع أحدا على عقائدها كما أنها تعتمد التقية مبدأ لها .

د ـ أن هذا المجتمع المنغلق ، لا يسمح لأحـد بالدخول فيه من غير أهله ، كما لا يسمح لأحد بالخروج منه .

هـ ـ لا يجوز زواج الدرزى ذكرا كان أو أنثى من خارج الطائفة .

تلك هى بعض الحقائق التى تـكاد تـكون محل إجماع الباحثين فى الدروز أما عن تـكوين مجتمع الدروز ، فإنه يتـكون من طبقتين :

الأولى : طبقـة العقـال (جمع عقل) . وهم الذين لهم الحق فى معرفة شىء من العقيدة السرية ، وينقسمون إلى درجات ثلاث : فالدرجة الأولى هم خاصة الخاصة ، المطلعون وحدهم على الأسرار العليـا للعقيدة . والدرجة الثانية هم الخاصة ، الذين هم أقل حظـاً من الطبقة الأولى . من حيث الإطـلاع على الأسرار ، ثم الدرجة الدنيا وهم أهل التحصيل والتعلم .

الثانية : طبقـة الجهـال ، وهم الذين لاحظ لهم من الاطلاع علوم الدروز أو أسرار العقيدة الدرزية ، إلا فى يوم عيدهم الذى يوافق عيد الأضحى والانتقال من طبقة الجهال إلى طبقة العقال ، لا يـكون إلا بعد إمتحان عسير قد يستمر سنة

أو أكثر ، يقوم فيها المرشح للانتقال بالامتناع عن كثير من شهواته ورغائبه كالتدخين وغيره ، ولا يسمح له بالانتقال ، حتى يكتسب ثقة الشيوخ فيه .

ويتميز العقال بعمائمهم ؛ ولبس القباء الأزرق والداكن وإطلاق اللحى ويباح ترك هذه الملابس لمن يعملون منهم فى الوظائف الحكومية ، إلى ملابس تتناسب مع مناصبهم .

وما ينطبق على الرجال فى هذا التقسيم ، ينطبق على النساء كذلك . فهن ينقسمن إلى عاقلات وجاهلات . والعاقلات يلبسن النقاب وثوبا اسمه (صاية) . على أن الغالب على نساء الدروز ، الحجاب .

وللدروز رؤساء دينيون فى كل مكان ، على رأسهم شيخ يعرف بشيخ العصر ، ويتولى منصبه بالانتخاب أو باتفاق زعماء الطائفة وكبار رجالهم . ولشيخ العصر أعوانه فى كل قرية ، أو بلد ، وهم شيوخ عقل محليون . وينقسم شيوخ العقل فى لبنان ، إلى حزبين أساسين ، هما الشيوخ الجنبلاطية والشيوخ اليزبكية ، كما ينقسم الدروز عامة فى لبنان مدنيا إلى أمراء وهم آل أرسلان ، ومشايخ وهم الجنبلاطية واليزبكية ، وعامة .

وللدروز قضاتهم الذين يحكمون دائما ، حسب التقاليد والشريعة الإسلامية ولكنهم يحكمون وفقا للتقاليد الدرزية ، فى بعض المسائل.

فلا يجوز مثلا ، أن يوصي الدرزى بأملاكه التى ورثها عن جدوده وآبائه لأحد دون أبنائه الآخرين، إذ إن الأملاك الموروثة عن الأجداد، ملك لكل أفراد الأسرة ، لا يحرم منها واحد . فإذا كان الميراث مجددا عن جهد شخصى ؛ فمن حق المورث أن يمنحه من يشاء من أبنائه . وكذلك فالمرأة لا ترث شيئا من دار أبيها ، كما لا يجوز لرجل أن يجمع بين زوجتين ، فلا يحتفظ إلا بزوجة

واحدة . فإذا طلقها ، جاز له أن يتزوج غيرها . ونظام المحلل ، لا وجود له عند الدروز ، فإذا طلقت من زوجها ، لا يجوز عودتها إليه ، بأى حال ، حتى لو تزوجت غيره .

وعلى الرغم من أن الدروز من أشد العرب صلابة عود ، وشجاعة قلب ، وبخاصة فى ساحات الجهاد ، فإنهم لم يستطيعوا أن يقيموا لهم دولة ، كما فعل الفاطميون فى المغرب ، أو الإسماعلية فى فارس ، ولعل هذا راجع إلى قلة عددهم .

عقيـــدة الدروز

لـكي يمـكننا فهم عقيدة الدروز ، ينبغي علينـا أن نقـدم بنشاة الدعوة الدرزية .

لقد نشأت هـذه الدعوة بمصر أيام الحاكم بأمر الله الفاطمى الذى ولى الخلافة الفاطمية من عام ٣٨٦هـ إلى ٤١١هـ .

فقـد كان الحاكم إنسانا غريب الأطوار ، يقتل اليوم من استوزره بالأمس كمـا فعل بوزيره فهـد بن ابراهيم ، وكما تخلص من أوصيائه ، مثـل براجون والحسن بن عمار .

وترجع هذه الغرابة إلى أنه تولى السلطة ، وهو لا يزال حدثا صغير السن ، وقد أحيط بهالة خاصة، مما أسبغته العقيدة الفاطمية على أئمتهم، من رفع لدرجاتهم وتقديس لهم. وقد أوصى والده الخليفة العزيز بالله عند موته بابنه الحاكم ، إلى ثلاثة رجال من ثقاته ، وهم محمـد بن النعمان بن حيون المغربى ـ الذى كان أبوه صاحب فقه الشيعة الاسماعيلية الفاطمية. وكان محمد هذا رجل دين، يشتغل بالقضاء، ولا يشغل نفسه بسياسة الحـكم .

وكان الوصى الثـانى ، أبا الفتوح برجوان ، الذى كان من العبيد الصقالبة ، الذين ترقوا فى قصر الخلافة الفاطميـة ، حتى صار مشرفاً على خـزائن القصور الفاطمية ، وكان موضع ثقة العزيز بالله الفاطمى، إنه كان يتولى تدبير أمر البلاد كلما خرج العزيز إلى الحروب بالشام .

وأما الوصى الثالث فهو الحسن بن عمـار ، زعيم قبيلة كتامة المغربية . وكان قائدا مشهورا بحسن بلائه ، لتثبيت دعائم الفاطميين فى صقليـة ومصر والشام .

وكان يدل على الفاطميين بذلك . ولقد حاول أن يستعيد أمجاد قبيلته ، فسار سيرة الملوك ، وأمر الناس بالترجل له ، وحجب نفسه ، إلا على نفر قليل من خاصته وزعماء قبيلته ، ووزع عليهم الأموال والوظائف ، فترفعوا عن الناس واعتدوا عليهم ، وكثر ظلمهم وفسادهم . وقد اشتد جبروته وطغيانه واستأثر بالسلطة كلها .

لكن الحاكم بأمر الله ، تنبه إلى أخطاء هذين الرجلين ، فاستعان ببعض من يثق فيهم ، فتخلص منهما ، الواحد تلو الآخر .

وقد كان موقف الحاكم هذا ، وتمكنه من التغلب على هذين الرجلين ، فثار إعجاب الناس ، كما كان التفاف بعض المغرضين به ، مشجعا إياه على أن يبتغى مذهبا يشبع طموحاته ، ويرضى غروره . وكان من أشهر هؤلاء الرجال حمزة بن على بن أحمد ، ومحمد بن اسماعيل الدرزى ، والحسن الفرغانى .

ومعلوم أن الحاكم بأمر الله ، كان على مذهب الفاطمية الذين هم فى الأصل من الشيعة الاسماعيلية . ولقد أعانته ، ورجاله ، تعاليم الدعوة الباطنية الإسماعيلية على تكوين دعوته الجديدة . وسوف نلاحظ عند دراستنا لعقيدة الدروز مدى تأثر هذه الدعوة ، بدعوة الفاطمية الإسماعيلية .

ألوهية الحاكم :

تقدم الدعوة الدرزية على القول بتأليه الحاكم بأمر الله ، أى أن الحاكم ، يمثل الناسوت الالهى . ويقرر الدروز أن حلول اللاهوت ، أو تجليه فى صورة الناسوتية — أى البشرية — لم يكن قاصرا على الحاكم ، بل حدث قبل ذلك عدة مرات منذ بدأ الخليقة .

فقد ذكر حمزة بن على فى رسالته (السيرة المستقيمة) أن الإله تجلى فى الصورة الناسوتية عشر مرات منذ بدء الخليقة حتى الحاكم. فقد ظهر أول مرة فى الهند ، ومرة فى مدينة أصفهان بفارس فى صورة (البـــا) ، ولذلك يقول الفرس (بارخـدا) أى الله . وظهر فى اليمن فى صورة شخص يعرف بعلى ، ومرة فى بلاد المغرب فى صورة شخص يعرف بالمؤثل وهو ثرى يمتلك أكثر من ألف جمل . ولأول مرة يظهر فى صورة ملك ، عندما ظهر فى شخصية القائم بأمر الله الفاطمى، ثم فى شخصية أبى زكريا القرمطى ، ثم المنصور بالله، ثم المعز لدين الله ، ثم العزيز بالله ، ثم الحاكم بأمر الله .

وعقيدة إدعاء الألوهيــة ، ممـا يضع الدروز بين قوسين . فإذا ما صحت هذه الدعوى ، وأنهـــا أصل من أصول عقيدتهم ، فإنهـا تخرجهم بالضرورة من الإطار الإسلامى ، وتضعهم فى دائرة الشرك . ولـكن ما مـدى صحة هذه الدعوى ؟

إن ذلك يقتضى أن نتأكد من الوثائق والـكتب المقـدسة الخاصة بالدروز .

وهذه ـ تبعاً لمبدأ السرية عندهم ـ محجوبة إلا على خاصتهم. وإذا ماتسرب بعض منها فإنه يحتاج إلى إعمـال النظر للتأكد من سلامته من التحريف والتزييف . فلقد حاول أعـداء الدروز ، يزيفوا عليهم كثيرا من الدعاوى التى تخرجهم من حظيرة الإسلام ، وهم صامتون ، لا ينكرون ولايثبتون . وليس لنا إلا أن نعرض عقائدهم فى ضوء ما يتاح لنـا من مصادر ، قاصدين إلى التعريف بهم ، دون الحـكم ، فإن ذلك يحتاج إلى الإطلاع على وثائقهم وكتبهم المقدسة كلها . غير أننا ننبه إلى أخذ مايقال عنهم بشىء من الحذر والتثبت .

ويختلف الباحثون فى مسألة ألوهية الحاكم : فبعض المؤرخـين ، يرى أن

الحاكم لم يكن على علم بهذه المسألة ، وإنما وضع ذلك حمزه بن على الذى يكاد يكون واضع أسس هذه الدعوة ومنسق مبادئها .

والبعض الآخر يرى أن الحاكم كان على علم بذلك ، وكان يرتضيه .

ولكن الذى لا نستطيع إغفاله هو أن الحاكم ، لم يكن يجهل تماما مسألة تأليهه هذا .

ولم تلق هذه الدعوة رواجا بمصر ؛ ذلك أن المصريين بطبيعتهم يميلون إلى المذهب السنى ، ويرتبطون به تمام الإرتباط .

فكما تحطمت الدعوة الفاطمية فى مصر ـ لكونها دعوة شيعية ـ كان كذلك مصير الدعوة الدرزية . هو التبدد . لذلك نجدها قد هاجرت إلى الشام مستغلة ظروفها الصعبة ، وتمزقها السياسى ، وبطبيعتها الجغرافية، لتجدبها مرتعا خصبا، فتبيض وتفرخ حتى يومنا هذا .

ومما يصور اعتقاد أتباع الحاكم فى ألوهيته ، ما ورد فى إحدى رسائل الكتب المقدسة للدروز المقدسة ، وهى رسالة « السيرة المستقيمة » فقد جاء فيها : ـ

« لكنى أذكر لكم فى هذه السيرة وجوها قليلة العدد ، كثيرة المنفعة لمن تفكر فيها .

فأول ما اختصر فى القول ما فعله المولى سبحانه مع برجوان وابن عمار ، وهو يومئذ ظاهر لا يراه العامة إلا على قدر عقولهم ، ويقولون صبى السن وملك المشارقة كافة مع « برجوان والابن عمار ملك المعاربة ، فأمر مولانا بقتلهم ، فقتلوا قتل الكلاب ، ولم يخش « من تشويش العساكر والاضطراب

وأما أمر ملوك الأرض ، فما يستجرى أحدا منهم على « مثل ذلك ، ثم أمر بقتل ملوك كتامة وجبابرتها بلا خوف من نسلهم وأصحابهم ، ويمشى « أنصاف الليالى فى أوساط ذراريهم وأولادهم بلا سيف ولا سكين ، شاهدتموه فى « وقت أبى ركوة الوليد بن هشام الملعون وقد أضرم ناره . وكانت قلوب العساكر تجزع « فى مضاجعهم مما رواه من كسر الجيوش وقتل الرجال . وكان المولى جلت قدرته« يخرج أنصاف الليالى إلى صحراء الجب ، ويتلقى به حسان بن عليان الكلبى « فى خمسمائة فارس ويقف معهم بلا سلاح ولا عدة حتى يسأل كل واحد منهم عن حاجته . ثم أنه يدخل ظاهر الأمر إلى صحراء الجب وليس معه غير الركابية « والمؤذنين » إلى أن يقول مصنف الرسالة : » إنكم ترون من أمور تحدث « بما شاهدتموها من المولى ،« الا يجوز أن تكون أفعال أحد من البشر ، لا ناطق « ولا أساس ولا إمام ولا حجة ، فلم تزدادوا بذلك إلا عمى وقلة بصيرة » .

فهذا اعتراف من إمام دعوة تألية الحاكم بان أحدا من البشر لا يستطيع أن يأتى من الأعمال ماقام به الحاكم لأن أعماله هى عمل إله .

العقيدة الدرزية : —

عرفنا من خلال دراستنا ، أن العقيدة الدرزية عقيدة محجوبة إلاعلى خواص الدروز . وسرية العقيدة تعتبر من أصولها وأس رئيسى فيها ، وليست منهجا طارئا عليها . لذلك فإن ما نقدمه عن هذه العقيدة ، حاولنا أخذه مما صرح به الدروز أنفسهم .

مصـــادرها ـ

أخذ الدروز عقيدتهم من مصادر متعددة منها الفلسفة الإغريقية التى استقوا منها بعض ماورد عن فيثا غورس وأفلاطون. ومعلوم أن مبدأ السرية قد اعتمدته المدرسة الفيثاغورثية ، مبدأ رئيسيا من مبادئها .

وقد خلطوا ذلك بما عند الفرس والهنود والفراعنة من نظر فلسفى .

فأمحوتب الفرعونى له عند الدروز تمجيد وتعظيم ، ويرفع المحـــدثون من الدروز فلاسفة اليونان إلى مرتبة عالية ، ترقى إلى مرتبة الأنبيا ، فاذا ما ذكروا واحدا منهم ، قرنوه بقولهم « عليه السلام » .

وتصور الدروز للوجود ، تصور فلسفى ، فعلى قمة الموجودات، العقل الأرفع أو العقل الكلى ، وهو حسب تعريفهم : « مصدر انبثاق جميع الكائنات وهو عين بقائهـا فى هذا الوجود الظاهر ، ومنـه وبه ابتدعت ، فهى لا تنفصل عنه ولاينفصل عنها من حيث العلة والمعلول فى تنزل فعل الخلق . فالعقل الأرفع من هـذا القبيل يحـــل فى سر أسرار جميـع الكائنات على احتجاب شبه كلى أو جزئى أو وعى متفاوت لا يبلـغ أقصاه إلا فى مرآة جوهـر عقل الإنسان بوصفه أرفـع هذه الكائنات وأقربهـا من استيعاب نور الحق الذى منه انبثقت .

على أن هــذا العقل الأرفع هو واسطة الكشف والمعرفة ، وأداة المشاهدة فى كل نفس مؤمنـة ، به يتم الشهود لجوهر الذات الفرد دون أن يرتفـع الإنسان من درجته وحده إلى كينونة هــذا العقل الأرفع الذى هو الأصل الوجودى والحد الأول » .

والفلاسفة الذين بنوا نظريتهم فى الوجو- على فكرة العقل الكلى يجعلون هذا

العقل واسطة الوجود ، فيه يتم الإبداع وعنه تكمل المعرفة الإنسانية بالذات الإلهية إذ إن العقل الإنسانى الجزئى هو صورة لهذا العقل الكلى .

ولعل ما دفع الفلاسفة المسلمين إلى الأخذ بفكرة العقل الكلى فى تفسير الوجود ، الحديث : « أول ما خلق الله العقل ، فقال له : أقبل فأقبل ، ثم قال له : أدبر فأدبر . ثم قال : وعزتى وجلالى ، ما خلقت شيئاً أعز على منك ، بك آخذ ، وبك أعطى ، وبك أثيب ، وبك أعاقب » .

وعلى الرغم مما يثار حول صحة هذا الحديث ، إلا أنهم اعتبروه مستندا لهم فيما ذهبوا إليه ويؤمن الدروز بفكرة التقمص .

ولكى نفهم المراد بالتقمص عندهم ، نعطى لمحة سريعة عن التناسخ ، حتى نحدد ان كان ما يقصدون بالتقمص هو التناسخ أم شىء آخر .

فالمؤرخون يكادون يجمعون على أن أصل فكرة التناسخ مأخوذة عن الهنود الذين يعتبرون ، أشد الناس اعتقادا بهذه الفكرة ، كما يقول الشهرستانى ، الذى يرى أنه ما من ملة من الملل الا وللتناسخ فيها قدم راسخ ، وإنما تختلف طرقهم فى تقرير ذلك .

وأهم ما ينبنى عليه التناسخ أمران : —

١ — التقمص ، أى حلول النفس بعد مفارقتها الجسد ، فى جسد آخر ، سواء أكان بشراً أم حيوانا أم نباتا . ولا يتم هذا الإنتقال بطريقة عشوائية ، وإنما يعتمد على ما أسلفته النفس إبان تلبسها بالجسد . فإن كان عملها خيراً ، حلت فى جسد أرقى رتبة من الذى كانت فيه ، وإن كان عملها شراً ، إنحطت إلى جسد أدنى من الذى كانت فيه .

٢ ـ الدور وهو الانتقال من الكون إلى الفساد ومن الفساد إلى الكون فى سلسلة متعاقبة .

وهناك علاقة وثيقة بين التقمص والدور ، ولكن فى إتجاهين مختلفين . فقد يتمثل الدور فى إنتقال النفس من جسد إلى آخر ، وقد يمتد بحيث يشمل عدة إنتقالات للنفس تنتهى بما يسمى دورا ، ثم يعقبه دور مماثل له . وقد يرتبط معنى الأدوار هنا بدورات الفلك ، ولعله يمكن تتبع جذوو هذه الفكرة عند هيرقليطس .

ويظهر الإتجاه الأول عند طوائف مثل الحرنانية ، وهم جماعة من الصابئة ، يرى الشهرستانى أنهم أصل التناسخ منهم يرون ان التناسخ هو أن تتكرر الأدوار إلى مالا نهاية ، بحيث يحدث فى كل دور ما حدث فى الدور الأول ، وأن الثواب والعقاب إنما يتم فى هذه الدار ، لا فى دار أخرى .

كما يتمثل الإتجاه الثانى عند الأورفية والفيثاغورية . ويرتبط بفكرة التطهر من الشر .

وفى إعتقادهم أن حياة أرضية واحدة لا تكفى للتطهر ، بل لا بد من سلسلة من الولادات تطيل مدة التطهير والتكفير ـ من الكفارة إلا آلاف السنين حتى يأتى يوم تنجو فيه النفس الصالحة من دولاب الولادات وتستعيد طبيعتها الإلهية .

هذا هو التناسخ كما رآه أصحابه الأصليون.

فهل يعنى التقمص عند الدروز التناسخ ، أم يختلف عنه ؟

لتحديد الجواب ، ينبغى أن نعرف التقمص عندهم . وهو يعنى أن الإنسان إذا انتهت حياته وصعدت روحه . فإنها لا تذهب إلى الحياة البرزخية المعترف بها عند أكثر المذاهب الإسلامية ، ولكنها تتقمص مولوداً جديدا .

فروح الرجل تتقمص طفلا وليدا ، وروح المرأة تتقص طفلة وليدة .

وهكذا يكون التقمص عندهم ، تقلب الروح فى شتى الأحوال لـكى يتسنى لها أن تختبر هذه الأحوال .

ونلاحظ اختلافين دقيقين بين تقمص الدووز والتناسخ : ـ

ا ـ فالتناسخ يعنى إنتقال الروح من كائن إلى كائن آخر ، قد يكون إنسانا أو حيوانا أو نباتا ، وأن النقلة تـكون بحسب العمل .

فأهل الخير تنتقل أرواحهم إلى أجساد أرفع ، وأهل الشر تنتقل أرواحهم إلى أجساد أحط .

أما الدروز ، فإن الانتقال عندهم قاصر على الإنسان لا يتعداه إلى غيره .

ب ـ يتشدد الدروز فى مسألة التجانس بالنسبة للتقمص . فروح المرأة تحل فى طفلة ، وررح الرجل تحل فى طفل . على حين يرى أصحاب التناسخ أن من أنواع العقاب أن تحل روح الرجل فى امرأة تدنيا لها ، وحطاً من منزلتها .

ووفقا لرأى الدروز فى التقمص ، فإن العالم عندهم ، لا يزيد ولاينقص ، إذ إن الأرواح عندهم معدودة محدودة ، وإنها تتعاود على الأجساد . فإذا هلك جسد ، حلت روحه فى جسد آخر . وقد يـكون ذلك مخالفاً للواقع ، وما تشير إليه الإحصاءات من تزايد مستمر فى عدد السكان ، إلا أنه رأى لهم يتوافق فى عقائدهم . ولعل نصاً من إحدى رسائل الدروز ، يوضح هذا الملحظ فقد جاء فى الرسالة ٦٧ من رسائلهم أن البشر وهم عالم السواد الأعظم سواء فى « العالم العلوى ، أعنى الفلك وما فيه من المدبرات والنيرات والاستقصاءات » أم فى العـالم السفلى « لم يتناقصوا ولم يتزايدوا من حيث الأرواح التى هى معدودة

من أول الأدوار . تظهر بظهورات مختلفات الصور على مقدار اكتسابها من خير وشر » .

ولقد حاول الدروز تدعيم نظريتهم بنص من القرآن ، فأوردوا قوله تعالى :

« هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتى ربك أو يأتى بعض آيات ربك، يوم يأتى بعض آيات ربك لاينفع نفسا إيمانها ،لم تكن آمنت من قبل، أو كسبت فى إيمانها خيرا » [سورة الأنعام آية ١٥٨] .

ومن بين عقائد الدروز ، النطق ،وهو يرتبط بوجهة نظرهم فى التقمص.

فهم يعنون به ما تتحدث به الروح من وقائع عن حياتها السابقة . أو معلومات عن دورها فى الجيل السابق ، حين تنتقل من جسد الى جسد .

ولعل مصدرهم فى ذلك ، نظرية المثل الأفلاطونية . والتى يؤكد فيها أفلاطون أن الانسان يتعلم فى عالم المثل كل ما يحتاج إليه ثم يعود فيتذكره فى حياته على الأرض ، وهو ما يعنيه بقوله « العلم تذكر ، والجهل نسيان » .

يجعل كل القائلين بدورات متعددة أو حيوات متعددة ، الثواب والعقاب عبارة عن الارتفاع أو الانحطاط فى الحيوات التالية التى تتدرج فيها الروح من جسد إلى جسد .

وما دام الدروز يقولون بالتقمص ، فإن الثواب عندهم يعنى الارتفاع من درجة إلى درجة حتى تبلغ درجة الإمامة أحيانا . أما العقاب فإنه هبوط فى الدرجة عما كانت عليه الروح . ولكن ما يميز الدروز هو أن الهبوط أو الإرتفاع عندهم لا يعدو الصورة الإنسانية . فليس عندهم حلول فى حيوانات كما يرى أصحاب التناسخ .

وإذا كان الثواب والعقاب مرتبطين بالجنة والنار ، فإن الجنة عند الدروز ،

هى توحيد الخالق ، وثمارها المعرفة الحقيقه ، والجحيم هو الجهل والشر . أما النار الكبرى فهى غلبة الشقوة ، وهو النفس البهيمية الغالب عليها الجهل .

وتبعا لرأيهم فى الثواب والعقاب ، فإنهم لا يقولون ، بما يقوله الدين ، من وجود يوم يحاسب فيه الناس على ما عملوا . فيوم القيامة عند الدروز ، يأخذ طابعاً رمزيا . فهو يعنى نهاية تطهر الأرواح حيث يكمل التوحيد . ويبلغ غايته بالانتصار على عقائد الشرك . والثواب فيه يكون بتمام تطهر الروح بعد مرورها فى قمصانها المتعددة ، حتى تبلغ حد كمالها ، وتتصل بالعقل الكلى .

ويلاحظ أن التعبير بالقمصان عند الدروز يعنى الأجساد .

أما العقاب، فهو القصور عن بلوغ تلك الدرجة، ويكون العذاب هو الاحساس بالتقصير عن الوصول إلى درجة كمال الروح وتطهرها .

والنص التالى يصور معتقد الدروز فى الثواب والعقاب ، وبلوغ الروح منتهى كمالها . ففى الرسالة ٦٦ « .... فقد إقترب للناس الحساب. .. وأن لتنور الأعراف أن يفور .. وقرب حصاد ما زرعته الأيدى ... لتتميز نفوس المحقين ، وتتعالى فى درج الكمال ، مغتبطة بالمعارف اليقينية ، وتسعد بالضوء المشرق عليها بعد تغشيتها بوحشة الظلم الطبيعية ، وتتحلى بجواهر الفضائل ، وتتحد بالأنوار القدسية ، وتكون مفتنة فى تمام الجواهر وتربيتها بالمهن العقلية ، وفوزها بمملكة العالم الإلهية . فهى باقية مدى الدهور والأبد . قد صفا لها السدق[1] (الصدق) اليقينى بصحة المذهب والمعتقد . هناك تنور بدور التمام، وتتعالى بالضياء والإشراق، وترتفع نفوس أهل العدل ، ملتحفة بقالب البقاء والأمن من الفساد والانحلال ،

(١) يستخدم الدروز بعض الحروف بدلا عن بعض كما فى كلمة (السدق) تبعا لرأيهم فى حساب الجمل .

قد خلصت لطهر عنصرها وقوة صفائها ، من دنس الشكوك والأعراض وتهذبت بتحقيق قبولها للصور العقلية ، وتشعشعت بحق الظهور معاقد الأعراف أصحاب اليمين، وأتحدث بعد مفارقتها للمواد الطبيعية، بشرف وجود معقولات الروحانيين. وأرممت بمقر قدسهم مراسم العقل الفعال ... عند ذلك تتلألأ أنواره (العقل) فى الآفاق والأقطار، لفيضان التأييد وتغدق سماء حكمته بهوامى التنزيز والتجريد، وتنبت بها أرض الحقائق (نفوس الموحدين) ثمار التقديس والتسليم والتوحيد... ويصح بالبعث الجزاء لنفوس الأنام ، ويقوم الحق والعدل بقيام الإمام ، ويخسر المرتدون والشاكون ... وتسأل المؤده عما حملت من الأثقال والأوزار . . هنالك تطلع نفوس أهل الحقائق بصفائها على الخفيات وتبلغ بقوتها المتجلية لصور الحق نهاية النهايات » .

ولقد فسر بعض الدروز الأعراف بانهم ملائكة أو أنبياء على أعرافهم أى مراتبهم الروحية العالية العارفة بخفايا النفوس ، يستقبلون النفوس أو الأرواح الصالحة .

وقال البعض الآخر ، إنهم - أى الأعراف - جماعة بين الجنة والنار يرجون رحمة ربهم .

وأقرب تفسير للموحدين - أى الدروز - أنهم « الحدود » يميزون بين الأرواح فى حسابها لعقابها أو ثوابها .

هذا هو مجمل عقائد الدروز ، أى ما يمثل الجانب الاعتقادى عندهم . أما الجانب العملى ، وهو مايعرف بالشريعة .

فمن المعلوم أن الدروز قد أخذوا دعوتهم ، عن المذهب الباطنى ، إلا أنهم اختلفوا عن الباطنية فى أن الباطنية يقولون بالظاهر والباطن معا ، أى بإقامة

الفرائض كما جاءت فى دين الإسلام ، وإقامة فرائض أخرى تعرف بالفرائض الباطنية ، وقد حصلوا عليها نتيجة تأويل بعض النصوص . فالزكاة عند الباطنية مثلا هى ولاية على بن أبى طالب والأئمة من ذريته والتبرؤ من الأضداد .

أما الدروز ، فإنهم نقضوا الظاهر والباطن معا ، واتخذوا لأنفسهم شريعة خاصة بهم تقوم على ما أرتأوه من التأويلات. فالزكاة عندهم، هى توحيد المولى وترك ما كان عليه الناس قديما .

وللدروز فرائض أطلقوا عليها الفرائض التوحيدية ، وهى معرفة البارى وتنزيهه عن جميع الصفات والأسماء ثم معرفة الإمام قائم الزمان ـ وهو حمزه بن على بن أحمد ـ وتمييزه عن سائر الحدود ووجوب طاعته طاعة تامة ، ثم معرفة الحدود بأسمائهم وألقابهم ومراتبهم ووجوب طاعتهم .

وهذه الفرائض الثلاثة ، يصبح المرء موحدا بمعرفتها ، وليس عليه أن يقوم بتكاليف أى فريضة من الفرائض ، ولكن على الموحد أن يعترف أيضا ببعض الواجبات التى فرضها المذهب ، مثل معرفة المقامات الربانية ، وهى التى ظهر فيها المعبود فى صور ناسوتية ، ومعرفة الصورة التى ظهر فيها كل مرة ، ومعرفة اسم الحاكم ، والإقرار بالنطق أى بالمجالس والسجلات التى تحتويها الكتب المقدسة ثم معرفة الفعل أى المعجزات التى قام بها المعبود فى ناسوته .

وقال الدروز إن المولى قد اسقط عن الموحدين سبع دعائم تكليفية ناموسية وفرض عليهم سبع خصال توحيدية وهى : ـ

١ ـ أولها وأعظمها صدق اللسان .

٢ ـ حفظ الإخوان .

٣ ـ ترك ما كان عليه الموحدون وما اعتقدوه من عبادة العدم والبهتان .

٤ ـ البراءة من الأبالسة والطغيان، ويقصد بذلك البراءة من الأنبياء السابقين، ومن كل الأديان الشرائع .

٥ ـ التوحيد للمولى من كل عصر وزمان ودهر وأوان .

٦ ـ الرضا بفعله كيفما كان .

٧ ـ التسليم لأمره فى السر والحدثان وأنه يجب أن يعلم كل واحد أن المولى يراه حيث لا يرى .

هذه هى الخصائل التوحيدية السبع التى وضعهـا الدروز وبها أسقطوا كل التكاليف الإسلامية والفرائض الدينية .

فصيامهم مثلا ، يختلف عن صيام المسلمين ، حيث يصومون تسعة أيام الأولى من ذى الحجة ، وصيامهم هـو نفس التقليد الإسـلامى بالإمتناع عن الأكل والشرب والقيام بأى عمل يبطل صيـام المسلم ، ويحتفلون بعيد الأضحى الذى هو عيدهم الأكبر .

ولا يعنى ذلك أن كل الدروز منصرفون عن الفرائض الإسلامية ، بل إن بعضهم مـع اعترافـه بالإنتماء للدروز ، يقـيم فرائض الدين الإسـلامى ويحسن التعبد .

هذه هى الدرزية ، نشأت فى وسط عربى بعيدة عن المزاعم التى تود نسبتها إلى عناصر أجنبيـة ، وبدأت مذهبا إسلاميا ، يتخذ من الباطنيـة ـ تعاليمه وطقوسه وتبنى آراء فى الألوهيـة تنأى بهـم عن حظـيرة الإسـلام ، وتثـير حولهم الشـكوك ، حيث يتساءل المتساءلون : هـل الدرزية مذهب إسلامى أم دين مستقل ؟

والمحدثون من الدروز ، يرفضون كون الدرزية دينا مستقلا ، ويؤكدون أن

أن « الدرزية وديعة الإسلام الحنيف » ، وإن تناقض زعمهم هذا ، مع ما ورد فى كتبهم ورسائلهم من القول بتألية الحاكم ونسخ الشريعة ورفض تكاليفها . إلا أنهم يزعمون أن هذا ليس من أصل مبدأ الدروز وإنما هو مدسوس ومزور عليهم .

بيد أنهم فى مقابل ذلك ، لا يصححون الأمر بالنسبة لهم ، مظهرين ما لديهم من وثائق ليطلع عليها أهل العلم ، فيفصلوا فى حقيقتهم ، ويضعوهم فى حيث يجب أن يوضعوا .

وإن ما قدمناه حولهم مستخلصين من كتب الباحثين فيهم ، وما كتبوه عن أنفسهم فى ضوء ما سمح به من نصوص خاصة بهم ، ليسمح للقارىء بالتعرف عليهم والاطلاع على كثير من دعاواهم ، حتى ينكشف الستر ، ويظهروا هم ما لديهم من وثائق فيستبين أمرهم ويمكن الحكم عليهم .